محنة باريس

بمناسبة ذكرى عيد الحرية — ١٤ يوليو سنة ١٩٤٠

للأستاذ على محمود طه

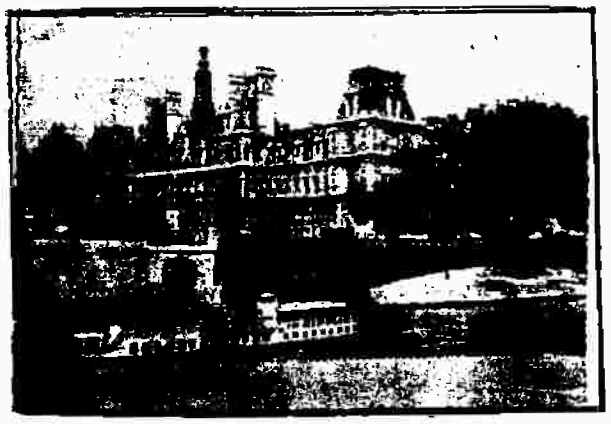

سألونى عن بيانى وقصيدى
أسَفاً ... باريس ! قد ماتَ نشيدى !

شهدَ الحبُّ ذكرناكِ ولم أنسَ نجواكِ ولم أخفرْ عهودى
أنا لا أنسى ليالىَّ على روضكِ الرفاف بالزهر النضيد
ثمر الفكر وبَجنَى نُورِهِ وسراحُ العينِ والقلبِ السعيد
خطرةٌ عابرةٌ عدتُ بها عودةَ النوّاص بالدرِّ الفريد
فاعذرى المِزْهرَ فى كفّى إذا أخرستْهُ ضَجّةُ الرُّزْءِ الشديد
يوم قالوا جلَّل القيدُ يداً حطمتْ بالأمس أصفادَ العبيد
حملتْ مِشْعَلَ حُرّيّاتهم فى شُراةٍ[1] من شباب الجد صيد
كيف يا باريس بالله هوى ذلك النجمُ من الأفق البعيد ؟
إن يَنَلْ منكِ المغيرون فما فتحوا غيرَ نحومٍ وحدود !
لستِ بنياناً ، ولا أرضاً ، ولا غابَ آسادٍ ، ولا جَنّةَ غيد
أنت معنى عالمُ الفكر به يتحدّى قبضةَ الباغى المريد
كعبةَ الأحرار ! هذى محنةٌ راعتِ الأحرارَ فى أكرمِ عيد

(١) الفدائيون

صُرِعَ النورُ به وانحسرتْ جبهةُ الشمس عن النور الشهيد
وأتى الليلُ ، ومِنْ أهوالهِ أنْ ترَىْ بين ظلامٍ وقيود
أين من فرساى[1] أفقٌ ضاحك مشرقٌ عن أمل الشعبِ السعيد
وعلى كلِّ طريقٍ موكبٌ صادحُ الأبواق خفّاقُ البنود
لكأنى اليوم ألقَى مأتماً
وأرى الكُنْكُرْدَ[2] كالقبر الحريد[3]

حالَ شدوُ الماء فى أحواضهِ نَفْثَةَ الغرقى ببحرٍ من صديد
وقفتْ مصر[4] به صامتةً تتقرّى الغيب، طلّسْمَ الوجود
غلبتْها حكمةُ الدّهرِ ولو نطقت لم تأتِ بالمعنى الرديد
ساحةَ الباستيل[5] ! حانَ الملتقَى وتعالتْ صرخةُ الفجر الوليد
أين أبطالكِ ؟ ماذا ! أترَى ضربَ الليلُ عليهم بالوصيد ؟
أغمدوا أسيافهم ؟ ويْحَ ! وما عوّدوا أسيافَهم حبسَ الغمود
وبحهم قد شيّعوا أعيادهم بين عصفِ النار أو قصفِ الحديد
فوق أرضٍ صُبِغَتْ من دمهم وتحدّتْ كلَّ جبّارٍ عنيد
فوق أحجارِكِ صرعى أمسهم فلذاتٌ كَتَبَتْ سِفْرَ الخلود
فاذكريهم بالذى سَرّ بهم واقرئى تاريخهم ، ثم أعيدى !

• • •

أيها العائدُ من غاراته راقداً تحت قبابِ (الأنقليد[6])
تلك راياتُك ، فانظرْ ! أترَى من سيوفٍ تحتها أو من جنود ؟
أين من برلين أو آفاقها جيشُك الظافرُ بالحشدِ البديد
تطأُ الأرضَ إلى مَشْرِقها موغلاً فى أثرِ الذئبِ الشريد

(١) قصر فرساى العظيم ، وقد شهد الثائر فى حدائقه المهجورة الاحتفال الباهر بليلة عيد الحرية
(٢) ميدان الثورة التاريخى من أجل ميادين باريس ، تقوم به المسلة المصرية وتماثيل رائعة وثافورتان عظيمتان
(٣) المنعزل أو الموحش المنفرد (٤) المسلة المصرية
(٥) الحصن الرهيب الخالد بذكراه ، وقد اقتحمه الثوار يوم ١٤ يوليو فكان عيد الثورة (٦) قبر نابليون

لفرنسا همّـــةٌ لا تنثنى ... أمَشَتْ فى النارِ أم تحت الجليد
بالقليـــلِ الجمعِ من أبنائها ... تنزعُ النصرَ من الجمع العديد
أمُّ ترسُفُ فى أحقادها ... دِنْتَها بالصفح والصنع الحميد
لم تســـيِّرْ فوقها دبّابةً ... أو تباغتْها بطيرٍ من حديد
يقتلُ الولدان والشّيبَ ولا ... يرحمُ المرضَى وربّاتِ المهود
شَرَفُ الحرب كما لُقّنتَـــه ... ملتقَى سيفين فى ظلّ البنود
فاعـذرِ اليوم فرنسا إنّها ... وثقتْ بالعهد فى دنيا الجحود
قَرَعَتْ للنصرِ كأسًا ! ويحها ! ... صَرَعَتْها خمرةُ النصر التليد !
رَقَدَتْ عن غدِها وانتبهتْ ... حيث لا يضعُ نحوٌ من رقود
أسفرتْ سِدّان[1] عن مأسانها ... وتهاوى حجرُ الحصن المشيد
ثَغْرَةٌ أُنفِـذَ منها خنجرٌ ... قد تَلَقّتْهُ على حزّ الوريد
شهدَ الجـدُ لها باســلةً ... خُضّبتْ بالدم من نحرٍ وجيد
فابعثِ العزّةَ من تاريخها ... وتألّقْ بستلهُ من جديد
واطّلعِ اليوم عليها ســيرةً ... وكنِ الشاعرَ واهتفْ بالقصيد:
... أيُّها الفاتحُ لا يغرُّكَ ما ... سِرْتَ فيه من حصونٍ وسدود
لكَ فى العِـــبرةُ المثلى فلا ... تأمنِ الزلّةَ فى أوجِ الصعود !

* * *

ربَّة النور ســـلامًا كلما ... هتفَ الشّعرُ بماضيك المجيد
لكِ فى كلِّ خيـالٍ صورةٌ ... برِئَتْ من وصمةِ العصر الجديد
غير ذكرى يرجعُ الفكرُ بها ... لليالٍ من عصورِ الظلم سُود
لَهَفَ نفسى لدمشقٍ ولمَنْ[2] ... خرَّ فيها من جريحٍ وشهيد

(رأس البر)

علي محمود طه

(١) المدينة الفرنسية المشؤومة، فى ساحاتها انهزم جيش نابليون الثالث وانهارت امبراطوريته، وقامت الجمهورية الثالثة ثم جمعت مآسيها فى الحرب الحاضرة بهزيمة الجيش الفرنسى فيها وانهيار الجمهورية

(٢) إشارة إلى نكبة عاصمة الأمويين، ضربها الجنرال الفرنسى «سراي» بقنابل مدافعه عام ١٩٢٥

الفصول والغايات

فى تمجيد الله والمواعظ

وهو معجزة أبى العلاء المعرى فى النثر

لم يبق منـــه إلا نسخ محدودة

فاطلب نسختك قبل نفادها

يباع فى ادارة الرسالة وثمنه ٣٠